الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر – بسكرة
كليّة الآداب واللغات
قسم الأدب العربي

د. آجقو سامية
د. بن مبروك خولة

الأجناس الأدبية في ظل الرقمنة
وفي ضوء نظرية التلقي

ملخص:

يبقى الأدب مرآة عصره، يعكس على صفحتها المستوية كل الزوايا المظلمة والمشرقة في حياة الإنسان، وعليه كان لابد له من التأثر بإيقاع التكنولوجيا المتسارع، وتوظيف معطياتها في العملية الإبداعية، وبالتالي إنتاج أجناس أدبية تحمل بذور التغيير في بنيتها، وهذا أمر مسلَّم به على اعتبار أن الأديب ابن بيئته ينهض على علاقة التأثر والتأثير بما يحيط به.

وهذا الجمع المختلف بين (الأدب والتكنولوجيا) أو الأدب الرقمي الذي زحف على جسد النصوص الأدبية، ليفرض بدوره آراء مغايرة عن الذات في علاقتها مع الآخر والعالم، وعلى مساحة الأدب وأقطابه (المبدع – النص – المتلقي).

الكلمات المفتاحية:

الأدب الرقمي – النص الرقمي – المتلقي – الأجناس الرقمية.

Abstract:

The literature remains the mirror of his age, reflecting on the flat surface all the dark and bright corners of human life, and therefore he had to be influenced by the pace of accelerated technology and the use of its data in the creative process, and thus the production of literary races bear the seeds of change in the structure, and this is recognized as the writer The son of his environment rises on the relationship of vulnerability and influence with what surrounds him.

This different combination of literature and technology has crept into the body of literary texts, forcing in turn different views of the self in relation to the other and the world, and the area of literature and its creators (creator - text - recipient).

key words:

Digital Literature - Digital Text - Receiver - Digital Genres.

مقدمة:

يبقى الأدب في أنموذج تكوينه الفني والدلالي والجمالي، كيانا ظاهراً ناطقاً عن كائن عاقل يتنفس من الإحساس والفكر والخبرة والتجربة ويستمر على ثابت متغير، وهي المرجعيات الاجتماعية والنفسية والفكرية والتاريخية، وعلى متكإٍ فلسفي، يحدِّد طبيعة العصر الأدبية والايديولوجية.

ومع تسارع دقات التكنولوجيا، رفد الأدب من معطياتها وحمولاتها التقنية، واستثمر من معينها الرقمي، على النحو الذي تظل فيه المقاربة بين (الأدب والتكنولوجيا) مقاربة نوعية مهجّنة حاضرة في أفق التلقي كما هي قائمة في سجل الفحص النقدي، بداية بالمصطلح وتعدده بين الأدب التفاعلي، الأدب الرقمي، التشعبي، الديجتالي، الأدب الشبكي، وغيرها.

وعلى صعيد ترحيل النص الأدبي إلى شاشة الحاسوب، كان لزاما عليه أن يتأثث بآلياته وتقنياته، ولا يتوقف الأمر عند حدود التواصل بين الأدب والحاسوب، بل يتوغل في الخصوصيات الجوهرية التي ينماز بها كل منهما، والتي بدورها تلغي الحواجز والحدود الإجناسية للأدب في ظل الرقمنة، ولعلّ الكثير من القواسم المشتركة للأجناس الأدبية باتت طيوراً مترعة بالحرية لا أوكار لها، ولا نشك في أن الإبداع الحر لا يتحرّز من استثمار معطيات العصر من تطور تكنولوجي لتطوير رؤيته وتحديث منهجية، وتجديد ماء حيويته، وهو ما يعزِّز مبدأ التواصل مع الآخر، في ظل التقارب واختزال العالم إلى مائدة مستديرة تقرّب المسافات الفكرية والجغرافية بين أطرافها. وهذا التشبيه فيه من بلاغة المعنى، ما يلغي الحواجز بين الشعوب وآدابها، وبين الأجناس الأدبية في مساحتها الإبداعية، ولعلّ هذا الطرح يقويّ عضد التساؤل ويحدد أطراف المعادلة (المبدع – الأجناس الأدبية – القارئ – الرقمنة)، وعليه:

وفي ظل المفاهيم الحداثية للأدب الرقمي، هل تتغيّر الخصائص الإجناسية للأدب؟ وهل تتغيّر المرجعيات والرؤى حول الذات والعالم من خلال تكنلجة الأدب؟ وهل تتغيّر تبعاً لذلك استراتيجيات العملية الإبداعية (المبدع – النص – المتلقي)؟

تعرف العملية الإبداعية في ظل ما يعرف الآن بالثورة الرقمية مجالات جديدة ومغايرة لتجليها، وذلك عبر الوسائط الإلكترونية، التي مكّنت الفرد من خدمات سريعة، انعكست تجربة هذا التجلي المغاير على صورة الأدب وقراءته، كما غيّرت أسئلة نظرية الأدب التي جعلتها تجربة الأدب في تجلية الرقمي تغادر الثبات وتسمح بتحرير السؤال الأدبي من تبعات النظريات المألوفة، كما تحرّر التفكير النقدي من التحديدات التقليدية حول الأدب والنص والقارئ.[1]

1. الأجناس الأدبية من المساحة البيضاء إلى الشاشة الزرقاء:

تلتقي الأجناس الأدبية على تعدد مشاربها وتباين خصائصها في جعبة الكتابة؛ فالكتابة مخاض متواصل وتجريب مستمر يعانق تجربة الذات وتفاعلها مع الموضوع، ليغدو «الحبر الأسود سبيلا للخروج من أسر الذات عبر استعماله في الكتابة»[2]

ولقد سيطرت الكتابة وامتطت عبر أوراقها رحيق الإبداع ردحا من الزمن، واستمسك المبدع مقاليد الحرف العربي، واشتم رائحة مداده على بياض ورقي يعلي من سلطة النص، ويعزّز نبرة المبدع كصوت منفرد يصدح بإبداعه، وفي ظل العولمة واستفحال التكنولوجيا نأى النص تواتريا عن الكتابة الورقية وانحاز طوعا نحو الكتابة الإلكترونية أو الرقمية وقد كان للنقاد رأي في هذه التسمية، وأسبابها، فيرى الناقد المغربي سعيد يقطين أن التسمية اقترنت بالوسيط فيوسم النص تارة بالإلكتروني وطوراً بالرقمي. إن هذين الاستعمالين يوظفان كمقابل لـ Électronique و Numérique Digital في اللغتين الفرنسية والانجليزية، وهما يشيان بالارتباط الوثيق بين النص والوسيط أو الجهاز الذي يتم من خلاله التعامل مع النص إنتاجا وتلقيا، ولاشك أن التقنيات والإمكانات التي يتمتع بها الحاسوب والشبكة العنكبوتية تتيح للمبدع مزيدا من التألق، ويقيم رافدا جديدا للكتابة الإبداعية أو الكتابة الرقمية، وتفتح المجال لأن يكون هناك: سينما رقمية، مسرح رقمي، ورسم رقمي... [3]

وعلى الرغم من امتداد الوسيط الإلكتروني وتهديمه للحواجز الفاصلة بين الأجناس الأدبية، إلا أن النص الأدبي في نطاقه ما زال غير واضح الملامح، إذ لم يجد له صيغة نهائية انطلاقا من أن الوسيط في حد ذاته لا يعرف الثبات، ما يترتب عليه إنتاج نصوص مبتكرة، تعزّر دور المتلقي الرقمي.

وأكبر ما يعزّر الكتابة الإلكترونية "غزارة الانتاج" نتيجة لسهولة التلقي وسرعة الاستهلاك والتعليق، وينبغي على من يسلك طريق الكتابة الإلكترونية أن يعلم أن الكتابة من أجل الانترنت تختلف عن الكتابة لأي شكل آخر، وعليه أن يتوخى أموراً كثيرة منها:

- أن تكتب بشكل مركز، سريع، رشيق.
- أن يتبع في كتابته نظام الفقرات القصيرة.
- تدعيم الموضوعات التي تكتب بمقاطع الفيديو أو الصور.
- يراعى عند الكتابة على الانترنت أن يكون الموضوع مختصرا، وفي عصر التويتر (Twitter) أصبح النشر الإلكتروني أكثر ايجازا من ذي قبل.

- استخدام أشكال مختلفة لعرض الموضوع أو مادة النشر كالصوت – الصور – الرسومات – الفيديو.
- سعة الآفاق الكبيرة، ورحابة المدى في عرض الموضوع.
- تتيح الاتصال عبر الشبكات المحلية والاقليمية والعالمية، الامر الذي يعين على تقارب المسافات بين الناس والمجتمعات والدول إضافة إلى اختصار الوقت. [4].

وعلى هذا الأساس يعتبر النص الرقمي بناء حيويا ترفده مصاحبات نصيّة أخرى كالموسيقى والصور والصوت والبرامج المعلوماتية، والوثائق والملفات وكلها مجتمعة تفرض مبدعاً يتقن الرقمنة وتستدعي قارئا من نمط خاص قادراً على التفاعل مع النصّ بنفس آليات المبدع وثقافته الرقمية، وهو ما يمنحه شرعية الإبداع من خلال عقد شراكة نصية مع المبدع، وكل هذا يتم في سياق حرّ يخضع للذات القارئة ومرجعياتها الاجتماعية والثقافية والنفسية.

ولهذا فالانشغال بالنص المطبوع ورقيا واستنطاقه وفق المناهج الأدبية، يفرض قراءة نصيّة داخلية تتبع من مقومات جوهرية قوامها لغّة النص – صورته الفنية أو الشعرية – إيقاعه الداخلي أو موسيقاه الخارجية، وكلها تستقيم من طبيعته الداخلية، أما النص الرقمي فيستعين بمؤثرات خارجية بصرية – سمعية – لغوية، وهذا التداخل يسهم بدوره في تداخل الأجناس الأدبية وإلغاء الحدود الفاصلة بينها، إذ إن «تجربة الأجناس الأدبية لا تقول بموت جنس أدبي، أو بتلاشي شكل تعبيري بشكل نهائي، وإنما تقول بمعنى التشرب في الجنس اللاحق. لأن الأدب هو حياة تنتعش من تاريخها. لا يولد الشكل الأدبي من العدم، كما أنه لا يتلاشى، وإنما يستمر في أشكال تعبيرية سواء كخلفية نصيّة، أو يدخل في علاقة جديدة مع البناء الجديد، ليستمر وجوده باعتباره ذاكرة للكتابة والنص والتعبير»[5]

ولعلها المشاكلة النصية التي تؤكد فكرة التعايش بين (المتباين والمختلف) وتمهد الأرضية القاعدية للاستمرار بين الأدب الرقمي، والورقي (المطبوع)، حيث دافع بعض منظري النص – المترابط Hypertexte من علاقة الاستمرار بين الأدب الرقمي والأدب في شكله المطبوع ورقيا، ومن خلال البحث في الروابط والعلائق التي توجد بين نظرية الأدب ومفهوم النص المترابط مثلما فعل جورج لاندوو George Landow الذي يعد من المنظرين الأوائل لمفهوم النص المترابط. [6]

كما أن التعامل مع النص الرقمي يطرح عدّة تساؤلات واشكالات في تحديد مجالاته، وفي كيفية التعامل مع الفضاء الرقمي، إن معضلة التحول والانتقال من الثقافة الورقية؟ إلى الثقافة الرقمية عبر

وسائطها المتنوعة، تطرح إشكالات اللغة العربية ومدى قدرتها على الولوج إلى عالم الرقمنة والتي تترك لمتلقي النص مساحة لا تقل عن مساحة مبدعيه ليسهم من خلالها في بناء معنى النص الذي لا يكون نهائيا ولا مكتملا. [7]

وعلى هذا الأساس، فالأمر يبدو مختلفا في فرض نمط جديد من الكتابة في إنتاج مختلف الأجناس الأدبية – وكسر نمطية العملية الإبداعية التقليدية.

2. الأجناس الأدبية الرقمية:

دخلت الأجناس الأدبية في ظل الرقمنة نمطا جديدا في العملية الإبداعية تعلي من سلطة القارئ ويجعل منه قارئا فاعلا ومنتجا، والنص في حد ذاته يبقى في علاقة تقاطع وتوالد مستمر بين وضعه التركيبي البنيوي وبين تفاعل القارئ معه، وتبقى أجناسية النص المترابط التخييلي مسألة غير ثابتة، مسألة ذات علاقة بتحولات تفاعلية القارئ وحالاته الثقافية والنفسية والمعرفية والجمالية مع النص المترابط؟

هل اشكالية الجنس الأدبي انتقلت من المؤلف إلى القارئ / القراءة؟

وهل يمكن اعتبار نص مترابط تخيلي في ذات الوقت رواية وقصة، أو شيئا آخر حسب طبيعة تفاعل القارئ؟[8]

وفي ظل هذه الثورة المعلوماتية ولدت كتابة جديدة تبنت أجناسا مختلفة عما سبقها، وقد اختلف النقاد والباحثون في مسألة تصنيفها وتسميتها، كالرواية الرقمية والمسرح الرقمي، والمقال الرقمي، والشعر الرقمي...

1.2. الصحافة الإلكترونية (الرقمية):

وهي صحف غير ورقية، تأخذ طابعا دوريا، ويتم اصدارها ونشرها واستخدامها عن طريق الكمبيوتر، من خلال شبكة الانترنت وشبكات الاتصالات الرقمية الأخرى، وأبرز ميزاتها:

- ما فيه من مرونة: تتمثل في إمكانية الاطلاع عليها في يسر فضلا عما يتمتع به الصحفي من مرونة في الكتابة والتنسيق.
- ما يتمتع به من تنوع.
- سهولة وسرعة التوزيع.

- المشاركة والتفاعل: إذ تسمح بإبداء الملاحظات أو المشاركة في استطلاعات الرأي والحوارات الحيّة مع الآخرين.
- التطوير والتحديث المستمر: بمعنى أنه يمكن تعديل الموضوع بالزيادة فيه أو الحذف منه.
- جاذبية العرض: ما تمتلكه من الوسائل المتعددة.
- المؤثرات السمعية والبصرية.
- الصور المتحركة، والثابتة.
- الزخارف والألوان المتعددة، وكلها عناصر من شأنها جذب القارئ ولفت انتباهه.
- سعة المساحة والانتشار.
- قلّة التكلفة. (9)

فالصحافة الإلكترونية غير مقيّدة بحدود زمانية ولا مكانية، كما أنها تجمع بين عدّة أشكال مكتوبة – مسموعة – مرئية.

2.2. المسرحية الرقمية:

تنأى عن المسرحية التقليدية في كون كل الأصوات تصدر من ذات المبدع الواحد في حين المسرحية الرقمية، تتعدد فيها الأصوات المبدعة والقراءة المختلفة، وفي عرضها يصبح كل فرد من الجمهور المتلقي حرًّا في مواجهة النص المعروض أمامه، وله حريّة اختيار الطريقة التي يريد بها إكمال العرض المسرحي. (10)، وهي على هذا النحو «نمط جديد من الكتابة الأدبية، يتجاوز الفهم التقليدي لفعل الابداع الأدبي الذي يتمحور حول المبدع الواحد، إذ يشترك في تقديمه كتاب عدة، كما قد يُدعى القارئ / المتلقي أيضا للمشاركة فيه، وهو مثال العمل الجماعي المنتج الذي يتخطى حدود الفردية وينفتح على آفاق الجماعية الرحبة»(11)

3.2. القصيدة الرقمية:

أسهمت القصيدة التفاعلية عبر الوسيط الرقمي في تفجير الدوال وتثوير الدلالات، لاستقراء النصوص، ورفد القارئ قصرا بطاقة الحركة والتحول والاستدعاء والتداعي، من خلال ملأ عدد من الفراغات التي يشعر بها المتلقي، فيعيد إنتاج النص من الزاوية التي يراها مناسبة له و «الشعر الرقمي في أيسر تعريفاته هو الشعر الذي يقدم عبر الوسائط الإلكترونية التي أتاحها التقدم

التكنولوجي، ويعد كاندل أول من نظم الشعر الرقمي، وقد كان ينظم الشعر الورقي التفاعلي بل هو رائده»[12]

وما يميز الشعر الرقمي هو انفتاحه على فضاءات عالمية وتنوع جمهوره على اختلاف ألسنتهم وتباين جلدتهم، فضلا عن تحررها من رقبة الزمان وتحييز المكان.

4.2. الرواية الرقمية:

هي نوع من الكتابة السردية القصصية أفرزته الكتابة الرقمية ودخول الإنسان المعاصر في العصر الرقمي، ويعرفها "محمد سناجلة" بأنها: الرواية التي تعبر عن التحولات التي ترافق الإنسان بانتقاله من الواقعية إلى الافتراضية وهذا مفهوم جديد، ويمكن أن يعّد مدرسة جديدة أو تيارا جديدا يتخذ له من الأدب العربي نقطة انطلاق نحو الآداب الأخرى، أي نحو العالمية.

ويرى أن الكلمة لن تكون سوى جزء من كل، فبالإضافة إلى الكلمات يجب أن تكتب بالصورة والصوت والمشهد السينمائي والحركة، وأن الكلمات نفسها يجب أن ترسم مشاهد ذهنية ومادية متحركة، أي أن الكلمة يجب أن تعود لأصلها في أن ترسم وتصور. [13]

وهذا ما يحفِّز القارئ ويثير فضوله، من خلال إغرائه بالسماح له بالمشاركة في إنتاج النص، وهو ما يحرّره ضمنيا من الدائرة النمطية المعروفة للقارئ، الذي يستسلم للنص في قماط المبدع (المؤلف) كما خطه قلمه.

وهذا يعني أن على الروائي نفسه أن يتغيّر، فلم يعد كافيا أن يمسك الروائي بقلمه ليخط الكلمات على الورق، فالكلمة لم تعد أداتة الوحيدة على الروائي أن يكون شموليا بكل معنى الكلمة، عليه أن يتقن لغة HTML على الأقل تقدير، كما عليه أن يعرف فن الإخراج السينمائي، وفن كتابة السيناريو والمسرح ناهيك عن فن الـ Imitation الرسوم المتحركة.[14]

وختاما من الواضح أن الأجناس الأدبية في ظل الرقمنة وقطبية العملية الإبداعية (المبدع – النص– المتلقي) تتجاذبها نزعتان: نزعة إبداعية أدبية، تعتمد الملكة مادة خاما لها، بما يحفظ خصوصية الأدب، في نطاقة (الفكري والتخيلي).

ونزعة تكنولوجية هي استجابة طوعية فرضتها معطيات العصر وحققتها فطرة الإنسان في خوض الجديد والمغاير. وفي ظل هذا التجريب تمّ التطعيم بين الأدب والتكنولوجيا ليولد جنس أدبي جديد لا

يعترف بالحدود الإجناسية للأدب، في ظل توظيف كل الفنون (اللغة – الموسيقى – الرسم – الإخراج...) وكلها مجتمعة ترفع سقف التحديات لمتلقٍ جديد يعيد إنتاج وصياغة نص اللغة والصوت والصورة والحركة واللون...

وقبل كل هذا وأثناءه وبعده، بما يوحي بالتغيّر والمتغيِّر يبقى الأدب في كل الأمكان والأزمان رهين عصره وطوع بنان صاحبه، يأخذ مسمياته دون أن يتكلف القصد في ذلك (كالأدب الرقمي – التفاعلي – التكنولوجي – وتبعا لذلك يتغيّر البعد الوظيفي للعملية الإبداعية، في ظل الرقمنة فيصبح المبدع متجنسا أدبياً تارة شاعرا وقاصًّا وروائيًّا ومخرجا وموسيقيا...

والنص في كينونته يستحيل لُحمة واحدة يتعاضد فيه الصوت – والحرف – والصورة ناهيك عن المتلقي الذي يجد نفسه منتجا لأثر النص مبدعا فيه.

وكل هذه الملامح تؤطر لرؤية الذات للآخر وللعالم في ظل الثابت المتحول (الأدب والعصر).

الهـوامــش:

1- زهور كرام: **الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهمية**، رؤية للنشر والتوزيع، 2009، ص19.

2- صلاح صالح: **سرد الآخر (الأنا والآخر غير اللّغة السردية)**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2003، ص174.

3- ينظر: نعمان عبد السميع متولي: **معالم النص الإلكتروني، الشعر الرقمي**، الأدب التفاعلي، الرواية الرقمية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع دسوق ميدان المحطة، ط2، 2016، ص130-131.

4- نعمان عبد السميع متولي: **معالم النص الإلكتروني، الشعر الرقمي**، الأدب التفاعلي، الرواية الرقمية، ص134-135.

5- زهور كرام: **الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهمية**، ص26.

6- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

7- نبيل علي: **الثقافة العربية وعصر المعلومات**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، يناير، 2001، ص09.

8- ينظر: زهور كرام: **الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهمية**، ص45.

9- ينظر: نعمان عبد السميع متولي: **معالم النص الإلكتروني**، الشعر الرقمي، الأدب التفاعلي، الرواية الرقمية، ص147-148-149.

10- فاطمة البريكي: **مدخل إلى الأدب التفاعلي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، ص156.

11- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

12- نعمان عبد السميع متولي: **معالم النص الإلكتروني**، الشعر الرقمي، الأدب التفاعلي، الرواية الرقمية، ص177.

13- المرجع نفسه، ص165.

14- نعمان عبد السميع متولي: **معالم النص الإلكتروني**، الشعر الرقمي، الأدب التفاعلي، الرواية الرقمية، ص166.